العرب
الإثنين 2019/10/14
السنة 42 العدد 11497

# إعطاء الشكل قيمة أكثر من المضمون قتل الحوار في مناظرة المرشحين للرئاسة التونسية

## الأسئلة الصارمة المعدة مسبقا أضعفت الحوار بين المتحاورين

التوجيهات الصارمة في الاجتماعات التي سبقت المناظرة بين المرشحين للرئاسة التونسية في شأن التقيد بالوقت عند الإجابة عن الأسئلة، والتركيز على الشكل العام للمناظرة على حساب المضمون، أضعفا الحوار والتفاعل بين المرشحين.

محمد شلبي
باحث تونسي في الإعلام

في نحو ساعتين من "التناظر" بين المرشحين للرئاسة التونسية قيس سعيد ونبيل القروي، مساء الجمعة 11 سبتمبر، تدخّل الصحافيان المكلفان بتسيير المناظرة عشر مرات ليطلبا من المرشحيْن التفاعل في ما بينهما تارة ولتذكيرهما بأن يتساءلا وأن يتقاطعا الحديث تارة أخرى. وحدث أنْ فعلا فإذا بجرس عدّاد الثواني يأمر أحد الصحافيين بالقول "انتهى الوقت".

فإذا تدخل الصحافي بمعدل مرة كل اثنتي عشرة دقيقة طالبا من المتناظريْن التفاعل، والحال أن صحافيي العالم يعانون من ضبط المتحاورين حتى لا يتماسكوا بالأطواق، فإن في مناظرة التلفزيون التونسي داءً قتل الحوار، وهو داء إعطاء شكل الحوار قيمة أكثر من مضمونه بالتضييق على المرشحيْن وفريقيهما بعدّاد الثواني.

يقسّم الباحث الفرنسي المختص في شؤون التلفزيون، باتريك شارودو، الحوار إلى أربعة مستويات متداخلة وهي أن يخاطب المنافسُ منافسَه محاولا دحض أقواله وأن يتحدث عن الخطاب نفسه قصد التفاعل مع ما يقال في الأستوديو وأن يتحدث عن نفسه لإبراز مشروعيته ومصداقيته وأن يخاطب الجمهور باستهداف فئات يختارها لاستقطابها واستدرار عطفها.

وبقر الباحث، وهو أمر لا يقبل جدلا، بأن المقطع الواحد من قول المتحاور يمكن أن يتنزل في المستويات الأربعة معا غير أن هناك دائما مستوى يطغى على الآخر. ويدرك عدد من ملايين التونسيين الذين تابعوا المناظرة أن المستوى الذي طغى عليها هو حديث كل مرشح عن نفسه ثم تظهر نادرا المستويات الثلاثة الأخرى.

لقد تحدث المتحاوران إلى الجمهور واشتركا في مخاطبة الفقراء والأمنيين والمعطلين عن العمل والشباب غير أن قيس سعيد زاد عن تلك الفئات أخرى منها المتقاعدون وحتى بعض الفئات الفكرية السياسية التي غازلها مثل البورقيبيين ومناصري القضية الفلسطينية، ثمّ إنه أفرد الشباب بحديث مكثف خاصة منهم شباب المناطق الداخلية المفقرة. لقد خاطب سعيد أحدهم باسمه عندما روى قصة الشاب عادل الذي سافر من الجنوب إلى تونس مشيا حتى أدمت قدماه.

> المناظرة كانت فرصة تاريخية للانطلاق في بناء برامج حوارية جيدة تخضع للمقاييس الصحافية وتقنع التونسيين

ولم يظهر أثر المستوين الآخرين وهما الحديث عن المنافس والحديث عن الخطاب نفسه، أو الكلام على الكلام كما يقول التوحيدي، وهما المستويان اللذان يحدثان التفاعل بين المتنافسيْن مما دعا الصحافيين إلى تدخلات متكررة يرجوان المتناظرين أن يتفاعلا وأن يتقاطعا الحديث ويتساءلا. ولم يحدث ذلك إلا نادرا والسبب فيه تقييد المرشحين بتسعين ثانية أو بدقيقتين وبسبب طبيعة الأسئلة المعدة سلفا وتبويبها.

ويكون التفاعل بين المتحاورين في الحديث عن نفسيهما وعن الخطاب بينهما بسبل متعددة، كما ذكر شارودو، أهمها تجاهل أحد المتحاورين الآخر أو تصحيح كلامه أو المراوغة في الجواب أو رد الحجة نفسها على صاحبها، وهي أساليب كان من الصعب استخدامها في حوار قائم على أسئلة جاهزة قبل الحوار تكون الأجوبة عنها مقيدة بوقت لا يقبل زيادة ولا نقصانا.

فليكون هناك تفاعل بالتجاهل ينبغي أن تكون هناك أسئلة يطرحها أحد المتناظرين على الآخر وكذلك المراوغة تقتضي سؤالا يطرحه أحدهما على الآخر فيعجز عنه الآخر فيراوغ، وقلب الحجة على صاحبها تقتضي جوابا عن سؤال ضمني يدحض فيه أحد المتحاوريْن كلام منافسه، وهي أمور لم تحدث. بقي التصحيح وهو أسلوب لا يقتضي بالضرورة سؤال أحدهما وقد صحح قيس سعيد كلام نبيل القروي في ثلاث مناسبات.

كان تفاعلا ضعيفا بين المتحاوريْن بسبب الأسئلة الصارمة المعدة مسبقا وهو وضع يحرم الصحافي من تجاوز بعضها أو تعديلها أو طرح أخرى بالنظر إلى جواب المحاور. وإن بدا أن أحد الصحافيين بادر إلى ذلك فلأن فريقا من المشرفين في الغرفة الفنية، يعمل تحت إشراف هيئة السمعي البصري وهيئة الانتخابات، أوعز له بذلك في السماعة.

في الدقيقة التاسعة بعد المئة سأل نبيل القروي إن كان الحديث عن استطلاعات الرأي جائزا فلم يجبه أحد فانطلق في استعراض المراكز التي حققها حزبه، قلب تونس، قبل الدورة الأولى من الانتخابات التشريعية حتى استوقفته الصحافية بعد خمس وعشرين ثانية طالبة منه ترك الحديث عن الاستطلاعات، وتلك حجة على أن الصحافيين كانا يتلقيان توجيهات لا في الأسئلة فقط بل في تفاعل المتناظرين.

وكان التفاعل ضعيفا كذلك لأن الأسئلة مبوبة بطريقة يُسأل فيها أحد المرشحين سؤالين متتالين فتفوت الآخر فرصةُ التفاعل مع السؤال الأول لمنافسه وقد يدرك السؤال الثاني غير أنه ما إن يفعلْ حتى يُوعَز إليه بترك التفاعل إلى نهاية المحور أي إلى ما بعد عشرين دقيقة. وكيف يمكن التفاعل مع كلام متعدد المستويات قيل بعضه قبل عشرين دقيقة جوابا عن حزمة من الأسئلة؟ هل التفاعل المؤجل تفاعل؟

وكان ضعيفا أيضا لأن تقييد المرشح بتسعين ثانية أو ضعفها يجعله مركزا على جوابه لأن الصحافيين يحرجانه إن هو أجاب في أقل من الوقت المحدد بقولة حفظها المشاهدون "ما زال لديك وقت" حتى يصبح المطلوب ليس جوابا عن السؤال بقدر ما هو الجواب عنه في تسعين ثانية لا تزيد ولا تنقص. لقد نظر المشاهدون منذ المناظرات الأولى في الدورة الأولى بعين السخرية إلى من لم يستوف الوقت في الجواب.

ويبدو أن التقيد بالوقت أثر في عمل مساعدي المرشحين بالانكباب على الاستعداد لأسئلة المحاور الأربعة أولا، إذ كانت التوجيهات صارمة في الاجتماعات التي سبقت المناظرة في شأن التقيد بالوقت وكانت مدونة في وثائق تسلموها تقول إنه "يُفسح المجال للمتناظريْن للتفاعل حول برنامجيهما وتكون الإجابة في دقيقتين". هي رؤية توحي بأن الأصل في الحوار ألا يكون فيه تفاعل وأن هيئتي الإعلام والانتخابات تكرمتا على الصحافيين والمتناظرين بذلك.

الحوار عمل صحافي ولا يمكن للمؤسسات، صحافية كانت أم غير صحافية، أن تحل محل الصحافي لإنتاج مضامين إعلامية. كانت فرصة تاريخية بأتم معنى الكلمة، إذ لم يسبق أن شاهد نحو ستة ملايين تونسي برنامجا على القناة التلفزيونية العمومية، للانطلاق في بناء برامج حوارية جيدة تخضع للمقاييس الصحافية وتقنع التونسيين لا أن تخضع لحسابات مؤسستين لا تفقه إحداهما من الإعلام شيئا.

كانت فرصة ليقطع الصحافيون، وخاصة منهم العاملين في القطاع العام، مع الكسوة المنمطة التي أُلبسوها على امتداد سنوات بل عقود جعلت كثيرين ينظرون إليهم عجزة. كان بإمكانهم في تلك المناظرة قبل غيرها، بل دون غيرها، أن يقدموا الدليل على مهنيتهم وقدرتهم على الحياد والنزاهة والاستقلال والمسؤولية. ويصعب إظهار ذلك بتلقينهم الأسئلة التي عليهم أن يطرحوها في حوار تلفزيوني... فماذا بقي لهم؟

مهم إخضاع مناظرة بذلك الحجم والوقع إلى ضوابط صارمة بحثا عن التكافؤ بين المرشحين، غير أن التفاعل لا يُبرمج ثمّ إن محاولة فعل ذلك تكبّله والتكبيل يقتله.

ضوابط المناظرة جمدت التفاعل

# لقاء الصحافة بالعلوم هل ينقذ الإعلام العربي

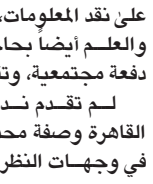

رحاب عليوة
كاتبة مصرية

القاهرة – يتأرجح المتخصصون بين التفاؤل والتشاؤم عند الحديث عن المستقبل والمحتوى الذي يجب أن تقدمه الصحافة، مع غياب الاهتمام بأنواع محددة من الصحافة، تعتبر أقل جذبا للقارئ، لكن معهد غوتة الألماني في القاهرة فتح حواراً على مدار يومي السبت والأحد، حول ما قد يصبح طوق النجاة للمهنة عند "اللقاء بين الصحافة والعلوم".

وأكد خبراء شاركوا في مؤتمر غوتة، مثل لارس غونتر من جامعة هامبورج، وكريستين هوبنهاوس الصحافية العلمية من برلين، أن التحديات التي تواجه الصحافة العلمية تعاني منها الدول المتقدمة والمتخلفة معا، لكن تقديرهم للموقف يظل منقوصاً، ففي ظل عدم تكافؤ إنتاجية العلوم وجودتها، وعدم تكافؤ الوعي الجمعي وانتشار الشائعات والخرافات بين الجمهور، يصعب النظر إلى المشكلتين وفق الإطار ذاته.

وتنبع أهمية العناية بالعلم على المستوى الإعلامي من الأدوار المعمقة التي يجب أن تلعبها الصحافة، إذا أرادت الاستمرارية، بعدما سحبت وسائل أخرى أدوارها، فلم يعد القارئ في حاجة إلى اقتناء صحيفة لقراءة نتائج قرارات ما، بل هي تصنع أمام عينيه ويحاكيها عبر وسائل التواصل الاجتماعي والتلفزيون.

كما أن المجتمعات العربية التي تنتشر فيها الخرافات، في حاجة ماسة إلى بث التفكير العلمي والنقدي لدى صحافيّها ومن ثم القارئ، ليصبح كل منهما قادراً على نقد المعلومات، بما يقوض الشائعات. والعلم أيضاً بحاجة إلى الصحافة لمنحه دفعة مجتمعية، وتقديرا واجبا.

لم تقدم ندوة المعهد الألماني في القاهرة وصفة محددة، وعكست التباين في وجهات النظر، والفجوة بين التنظير والتطبيق، ما يمنح مؤشرات أولية، مع الأخذ في الاعتبار أوضاع الصحافة عربياً، بأن التحسن المرجو قد يظل محدودا وفرديا، ولن تشهد طفرة تتزاوج فيها الصحافة مع العلم قريباً.

يرتبط تحقيق قفزة وسط الأزمات المتراكمة بإدراك العلاقة المرجوة ورسم خطوط التقاطع بين الجانبين، ونحن بحاجة إلى إجابة حاسمة عن: هل يصلح التزاوج بين الصحافة والعلوم؟

يجيب الطبيب والصحافي والأديب المصري محمد المخزنجي، بأن التزاوج ليس ممكناً فقط بل ضروري، ويعبر عنه بمصطلح "الثقافة الثالثة"، التي تمتزج فيها الحقائق العلمية بالقصص السردية والوسائل التكنولوجية الحديثة من المؤثرات البصرية والسمعية.

يعني أن المادة الصحافية المرجوة والقادرة على الصمود أمام التحديات تبسط الحقائق العلمية في قالب سردي يجذب القارئ الذي جُبل على حب الحكي، موظفاً كافة الوسائل المتاحة، صور، فيديو، مؤثرات سمعية وبصرية، رسم بياني، وغيرها.

شدد المخزنجي على أهمية الدهشة المكنونة في العلوم، والتي يجب تصديرها للجمهور العام، لتجني تفاعلات تفوق التوقعات، وهو شخصيا كسر الصورة النمطية عن الكتابة العلمية خلال مسيرته، وجذبت كتاباته غير المتخصصين.

ولفتت كتابات المخزنجي المبسطة والشيقة في تقديم العلوم، العالم الراحل أحمد زويل، وتفاعل مع مصطلح "الدهشة" الذي يعتبره المخزنجي مفتاح مزج الصحافة بالعلوم أو ما يوصف بـ"ربط العامة بالعلم".

لكن هل تقف الحدود المرجوة للقاء الصحافة بالعلوم عند القدرة على تبسيط الأولى للثانية؟ يقول المخزنجي لـ"العرب" "الدهشة واسعة، ومصطلح العلوم لم يعد قاصراً على العلوم الكيميائية والفيزيائية، فكافة العلوم الإنسانية، والسياسة والفن و.. تندرج أسفل المصطلح، لذا حين نتحدث عن الدهشة كمدخل فهي تشملها جميعاً، ولا تقتصر على الصورة الذهنية النمطية للعلوم".

تبين معطيات كثيرة أن الإشكاليات لم تُحسم، والعالم أمام منهلين كليهما مفيد للصحافة، وإن بدا أحدهما جزئياً والآخر شاملا، فالجزئي سينهل من العلوم للصحافة في الفرع المتخصص (الصحافة العلمية) بثوب ينطلق من القاعدة التي وصفها المخزنجي بـ"الدهشة"، وبخلطة العلم والحكي والوسائل الحديثة، أما الأكثر شمولاً فهو الذي ينهل من العلم مبادئه وحكمته ويمضي في كافة الفروع، منها الصحافة التحليلية والصحافة الاستقصائية وصحافة البيانات.

> المادة الصحافية المرجوة والقادرة على الصمود أمام التحديات تبسط الحقائق العلمية في قالب سردي يجذب القارئ

وثمة من اعترض، وهو رئيس تحرير موقع علمي يسمى "العلوم الحقيقية"، على تبسيط العلوم أو خلطها بالحكي والسياسة والفن ومناحي أخرى، وعدّها "فقدانا للهيبة" وبمثابة إهدار لـ"التقاليد الراسخة". والمثير أن من اعترضوا على طرحه مقابل تأييد المناحي الحديثة والدمج كانوا الأكثر.

أكاديمياً، يبدو أن ثمة جهودا للّحاق بالركب العالمي في البحث عن أدوار عميقة للصحافة، وبشر بذلك أستاذ الصحافة في جامعة القاهرة محمود علم الدين، لافتاً إلى أن مادة "الصحافة العلمية" التي كانت ضمن المقرر الدراسي للطلاب في كلية الإعلام لا تشهد إقبالا للتسجيل فيها، أصبحت ضمن الأكثر إقبالاً في الوقت الحاضر.

وأوضحت أستاذة الصحافة الدكتورة نرمين الصابر، وهي إحدى أساتذة مادة الصحافة العلمية، لـ"العرب" أن مضمونها يعنى بإعداد الطلاب وفقا لمبادئ التفكير العلمي وسبل النقد والتحليل، بحيث يستطيعون تناول كل موضوع على نحو معمق، ثم يتم الدخول في إطار أكثر تخصصاً في الصحافة العلمية والنظريات الإعلامية.

وتعتمد هذه المسألة على طريقة تفاعلية، حيث يتم للطلاب شرح طريقة التعاطي مع المواد العلمية و"تصحيفها" على نحو مبسط، ثم يطلب منهم تقديم نماذج بأنفسهم كطريقة للتدريب.

وأكدت الصابر أن الصحافة في حاجة إلى العلم، سواء في مبادئه وأساليب تفكيره لإعداد صحافي مميز بعقلية باحث يملك الفضول الذي هو أساس العمل الصحافي والعلمي، أو في العناية بالعلم في ذاته وتقديمه مبسطاً لجذب العامة.

# وفاء آخر لعدنان حسين

علي الصراف
كاتب عراقي

يعجزني الموت. لا أملك شيئا حياله. حتى البكاء يتأخر لينتظر خلوة مع النفس وصفاء. أو قد ينفجر كينبوع مكتوم.

غياب إنسان شيء قاس. ولكنه محفوف بالذكريات التي تبدو وكأنها نوع من حياة أخرى، حتى ليغمرك الاعتقاد بأن الإنسان يموت ولا يموت. يمضي جسدا، ولكنه يبقى في النفس والقلب والذاكرة. فيبقى حيا حتى تموت أنت نفسك.

وهذا واحد آخر يبقى فيك.

لينغص البكاء في عينيك. إنه عدنان حسين. هادئ، كفء، ثري، عطوف، وجميل الروح. حتى لو اختلفت معه، يعطيك الانطباع بأنه يقبل كل شيء، يستوعبه، يأخذك بابتسامة متعالية، حتى لو سخرت مما قد تفترضه موقفا أيديولوجيا جاهزا.

لم أعد أعرف مقدار تحزبه، أو حزبيته، تلك التي تشاركت معه فيها ذات سنين، ولكنها لم تكن شأنا على الإطلاق. هو واحد من القلائل الذين يضعون الحياة فوقها لا تحتها. ولهذا السبب، فإن من طبيعته ألا يتطرف.

هل توفيه أي كلمات حقه؟ الصحافي لا يوفى حقه أبدا. إنه شمعة توجد لتحترق كل يوم. ولئن كان واحدا من أكثرهم براعة وتطويعا، فقد كان – ببساطة الأشياء كلها- يعرف ما يقول، ويقوله. وهذا لغز. إنه واحد من أسرار مهنة لا يدركه إلا من انعجنوا فيها وانخبزوا.

وهو صاحب رأي، إنما من ذلك النوع العريض. ونادرا جدا أن يضيق أو أن يقبل تفسيرا لما قد يضيق. حتى لتشعر أنه، لو كان صحافيا بريطانيا لكان واحدا من القلائل الذين يكتبون باللغة نفسها في الغارديان وديلي تلغراف على سعة المسافة بينهما.

بين "المدى" و"الشرق الأوسط" المسافة نفسها. إلا أنه هو نفسه. ولغته هي ذاتها.

ينحشر في صدري القول حتى ليتوجب عليّ أن أقوله من دون تمهيد. أو حتى لكي أنزعه من نفسي، لا لكي أتحرر من دينه، بل لكي أجعله نوعا من دين عام سأظل أحمله ما بقيت.

> عدنان حسين؛ هادئ، كفء، ثري، عطوف، وجميل الروح، حتى لو اختلفت معه. يعطيك الانطباع بأنه يقبل كل شيء

في مطلع الثمانينات من القرن الماضي، كنت لا أزال أتعثر في تشكيل حرف. لاحظ ذلك، فصوبه لي مرة، بنوع من أيسر السبل. بقيت مدينا له، وبقيت أعتبره معلمي إلى يومنا هذا. ولم يكن ذلك هو الدين الوحيد. ثمة من ديون العشرة، ما لا يسهل تقديمه أو شرحه.

في يوم غيابه، وقفت لأصلي، فصليت لأجل روحه ركعتين. دعوت ربي أن يتغمده برحمته، وأن يتقبله بجناحين من العطف والمغفرة. وأن يبقيه في نفسي حيا لا يموت.

شاهدت الصورة التي اختارتها له "العرب" في مقال رشيد الخيون، لأكتشف كم أنه كان جميل الوجه أيضا. شيء لم ألتفت له من قبل. قررت أن أطبعها لأعلقها في غرفة مكتبي. ليس نوعا من الوفاء لصداقة تقاطعها الفراق، بل نوع من حيلة مع النفس، من أجل القول: ترحم له كلما نظرت إليه، لعل وجهك أنت يبدو أجمل يوم تغيب.